المكيّ والمدني:

يقول السّيوطي: "اعْلَمْ أَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ اصْطِلَاحَات ثَلَاثَة: أَشْهَرُهَا: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَالْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بَعْدَهَا سَوَاءٌ نَزَلَ بِمَكَّةَ أَمْ بِالْمَدِينَةِ عَامَ الْفَتْحِ أَوْ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ أَمْ بِسَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ".(1/37-38)

من فوائد معرفة المكيّ والمدني: تربية الإنسان ومعرفة الأولويّات، دراسة القضايا القرآنية وفقا للترتيب الزمني(التفسير الموضوعي)

كيفية معرفة المكيّ والمدنيّ: (سماعي وقياسي).

ضوابط المكيّ والمدنيّ:

1. أينما وردت (كلّا) فالسورة مكيّة.

2. كل سورة فيها سجدة فهي مكيّة.

3. كل سورة ذُكر فيها قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام فهي مكيّة ما عدا البقرة وآل عمران والمائدة.

4. كل سورة ابتُدئت بالحروف المقطّعة فهي مكيّة إلا الزهراوين.

5. كل سورة ذُكرت فيها قصّة آدم عليه السّلام فهي مكيّة ما عدا سورة البقرة.

6. كل سورة انفرت ب(يا أيّها النّاس) دون نداء المؤمنين، فهي مكيّة أمّا إذا اجتمع النّداءان فالسّورة مدنيّة، وذلك مثل سورة البقرة، وسورة النّساء، وعلى خلاف في سورة الحجّ والرّاجح أنّها مكيّة.

7. كلّ سورة ذُكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنيّة.

8. كل آية أَمرت المسلمين بالجهاد والقتال فهي مدنيّة.

9. كل سورة ذُكر فيه المنافقون فهي مدنيّة ما عدا سورة العنكبوت.

خصائص المكي والمدنيّ:

أوّلا: خصائص المكيّ: الدعوة إلى التّوحيد، وتثبيت قواعد إرسال الرّسل، تثبيت عقيدة البعث والدعوة إلى مبادئ الأخلاق الفاضلة ومن ذلك: ذكر قصص الأوّلين وضرب الأمثال. مع قصر السّور أحيانا، وقصر الآيات آحيانا.

ثانيا: خصائص القسم المدني: تنظيم شؤون الحياة، كثرة الحديث عن أهل الكتاب، ودعوتهم إلى الحق ومناقشتهم في بعض ما حرّفوه، وفضح المنافقين والتّحذير من ألاعيبهم، وبيان أحكام الجهاد والقتال، والحديث عن اليهود وتحذير المسلمين منهم.

عدد السّور المكيّة والمدنيّة: نقل السّيوطي أنّ المدني باتّفاق عشرون سورة، والمختلف فيها اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك فهم مكيّ بالاتّفاق. فقد اختلفوا في: الرّعد، والرّحمن، والصفّ والّتغابن، والجنّ، والمطفّفين والقدر والبيّنة والزّلزلة والإخلاص والمعوذّتين. وعند العلماء أنّ هناك سورا مكيّة فيها آيات مدنيّة مثل سورة الحج، وسورا مدنيّة فيها آيات مكيّة وهذا نادر أو لا يكاد يكون.

……..

تعريف الوحي لغة واصطلاحا، أنواع الوحي، مصدر القرآن الكريم(الافتراض الأوّل: اكتسابه من غيره(في مكة، في المدينة) الافتراض الثاني: هل يمكن أن يكون للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم أكثر من أسلوب).

هذا الفصل قائم على النّقاش، ذلك أنّ موضوع الوحي مع التقدّم التكنولوجي لم يعد بحثه كما كان من قبل، فما لم يكن ممكنا رآه النّاس بالثّورة التكنولوجيّة ممكنا. ومع ذلك، يمكن مراجعة هذا المبحث من الدكتور عبد الله درّاز في كتابه النّفيس: (النّبأ العظيم).

الوحي في اللغة: فيه معنى الإيماء والإشارة والسّرعة والإلهام الغريزي والإلهام الفطري ووسوسة الشّيطان على نحو من الخفاء، وإخبار الله. وكلّه محكوم بالسّياق الوارد فيه.

وفي الاصطلاح: إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفيّة سريعة، أو هو عرفان يجده الشّخص من نفسه مع اليقين بأنّه من الله عزّ وجل بوساطة أو بغير وساطة.

أنواع الوحي:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾الشّورى:51 وأكثر أنواع الوحي(يُرسل رسولا) وهو جبريل عليه السّلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾مريم:64

مصدر القرآن الكريم:

الافتراض الأوّل: اكتسابه من غيره (مجتمعه، اليهود والنّصارى، من التّوراة والإنجيل، رحلاته، المدينة)

وفي التفصيل: حال مكة وما كان في مجتمعها في مجملة عكس القرآن(الأخلاق في مجملها، وعبادة الأوثان...)، وأمّا الدّين عموما فأقل اهتماماتهم، وهل ثبت اختلاط الرسول باليهود ومجالستهم، وخاصّة أنّ هذا قرآن عربي مبين. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾النّحل:103، وهل ترجمت التوراة والإنجيل إلى العربية باكرا فيكونان مصدرا للقرآن، أمّا القدر المشترك، فالأنبياء إخوة لعلّات ودينهم واحد، فلا بد من قدر مشترك، ومع ذلك فلننظر إلى قضيّة الخلق والقصص القرآني وخاصّة الطوفان، وكذلك قضايا التّشريع. وما هي الرّحلات هذه التي التقى فيها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم مع العرب المتنصّرين، وهل كانوا يعتنقون دينا أم عُبّاد أوثان. ومع أنّ أكثر نزول القرآن كان في مكّة، وخاصّة القصص القرآني، إلا أنّ الأحكام الشّرعية كانت في المدينة، وكانت تعنيفا على اليهود والنّصارى وليست تأثّرا بهم.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾التوبة:34

وسؤال آخر: هل يمكن أن يكون القرآن من عند محمّد صلّى الله عليه وسلّم؟

أكثر المسلمين على أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم يكتب قط، ولم يقرأ بالنّطر في كتاب، ولو كان يعرف الكتابة لِمَ لَمْ يرو الصحابة ذلك، وهو مع الوحي كان بحاجة لكتابة فلماذا كان يستدعي الكتبة، إنّ الأميّة بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة هي التي كانت سائدة آنذاك، وإذا كان القرآن من عند محمّد فلماذا لم ينزل قرآنا في المواطن التي كان في أمسّ الحاجة إليها، مثل حادثة الإفك ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾النور:11، وقصّة المجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾المجادلة:1، وأين نحن من الآيات الآتية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾التحريم:1، ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾الأحزاب:37 و ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾البقرة:284، ومطلع سورة عبس، وأخلاقه صلّى الله عليه وسلّم، والعقائد الدينية، وأسماء الأنبياء والدقّة في الأرقام، والأخبار المستقبليّة. وأمّا أسلوب القرآن فمختلف كلّ الاختلاف عن الأسلوب البشري.

…….

نزول القرآن الكريم:

معنى نزول القرآن، تنزّلات القرآن، فرية القول بنزول القرآن بالمعنى، نزول القرآن الكريم منجّما، أوّل ما نزل وآخر ما نزل، القول بتعدّد النزول.

أوّلا: معنى نزول القرآن:

يُطلق الإنزال على معنيين أحدهما: الهبوط من علوّ، والثّاني: الإيواء إلى المكان والحلول فيه، وهذان المعنيان مستعملان استعمالا حقيقيّا، والمعنى الأوّل هو المتبادر، يُقال نزل من شاهق الجبل، ونزل من علٍ. ويُقال: نزل في المكان إذا أوى إليه.

ثانيا: تنزّلات القرآن:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾البقرة:185

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾الدخان:3

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾القدر:1

والسؤال: ما معنى نزوله في ليلة القدر؟

1. نزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة دفعة واحدة.

2. أطلق الجزء وأراد الكل، فالبداية مع الآيات الأوَل من سورة اقرأ.

3. ابتدأنا إنزاله.

ثالثا: فرية القول بنزول القرآن بالمعنى:

قال تعالى:﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)﴾القيامة:16-17

قال تعالى:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾النساء:82

رابعا: نزول القرآن الكريم منجّما وحِكَمه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾الفرقان:32

قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾الإسراء:106

وهنا إشارة: لا يُفهم من الآيات القرآنية أنّ الكتب السماوية نزلت جملة واحدة.

نستنتج إذن: التدرّج في هدم ما بقي في النّفوس من آثار الجاهلية، وتثبيت النّفوس حفظا وفهما وتدبّرا، وأثر ذلك في الدّواعي والأحداث وما في ذلك من تصبير للمؤمنين وتثبيت لأفئدتهم، ولينفصل النّاسخ عن المنسوخ، وكذلك تثبيت العقيدة وترسيخها.

إشكال وتوضيحه:

جاء في صحيح البخاري عن السيّدة عائشة رضي الله عنها قولها: " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "صحيح البخاري

والإشكال: سورة اقرأ ليست من المفصّل! وليس فيها ذكر للجنة والنّار! قال ابن حجر: "قَوْلُهُ إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ هَذَا ظَاهِرُهُ مُغَايِرٌ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَزَلَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبك وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ مِنْ مُقَدَّرَةٌ أَيْ مِنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ أَوِ الْمُرَادُ سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ وَفِي آخِرِهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَلَعَلَّ آخِرَهَا نَزَلَ قَبْلَ نُزُولِ بَقِيَّةِ سُورَةِ اقْرَأْ فَإِنَّ الَّذِي نَزَلَ أَوَّلًا مِنَ اقْرَأْ كَمَا تَقَدَّمَ خَمْسُ آيَاتٍ فَقَطْ قَوْلُهُ حَتَّى إِذَا ثَابَ بِالْمُثَلَّثَةِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ رَجَعَ قَوْلُهُ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ أَشَارَتْ إِلَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي تَرْتِيبِ التَّنْزِيلِ وَأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الدُّعَاءُ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّبْشِيرُ لِلْمُؤْمِنِ وَالْمُطِيعِ بِالْجَنَّةِ وَلِلْكَافِرِ وَالْعَاصِي بِالنَّارِ فَلَمَّا اطْمَأَنَّتِ النُّفُوسُ عَلَى ذَلِكَ أُنْزِلَتِ الْأَحْكَامُ وَلِهَذَا قَالَتْ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا لَا نَدَعُهَا وَذَلِكَ لِمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنَ النَّفْرَةِ عَنْ تَرْكِ الْمَأْلُوفِ"9/40فتح الباري

خامسا: أوّل ما نزل وآخر ما نزل:

يُقصَد بهذا العنوان: أوائل وأواخر مُخَصّصة أو أوائل وأواخر على الإطلاق. فعلى سبيل المثال: أوّل ما نزل في الرّبا: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَاْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾الروم:39 وآخر ما نزل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾البقرة:275 . وأوّل ما نزل في ذمّ الخمر: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾النّحل:67، وآخر ما نزل آيتا المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(90)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ(91)﴾المائدة:90-91، وأوّل ما نزل في قصّة آدم ما جاء في سورة(ص) وآخر ما نزل ما جاء في سورة البقرة. وأوّل ما نزل من آيات الجهاد: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾الحج:39، وآخر ما نزل ما جاء في سورة براءة.

المعتمد في أوّل ما نزل من آيات على الإطلاق: أوّل ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق الآيات الأولى(خمس آيات)من سورة اقرأ(العلق)، وأوّل سورة تامّة نزلت هي سورة الفاتحة. أمّا بخصوص سورة المدثّر فهي أوّل سورة نزلت (أوائلها)بعد فتور الوحي.

المعتمد في آخر ما نزل من آيات على الإطلاق: آيات الرّبا وما بعدها إلى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾البقرة: (281) وقالوا: معها آية الدّين. وعند العلماء آخر ما نزل في موضوعات محدّدة(في الميراث) آية الكلالة﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾النساء:176، وفي القتل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾النساء:93 المقصود لم تُنسَخ. أمّا آخر سورة نزلت تامّة فهي سورة النّصر.

وفي هذا حكم كثيرة، فأوّل ما نزل علم وقراءة، وآخر ما نزل الحث على تقوى الله، فعلم بدون تقوى الله عزّ وجلّ لا قيمة له، وأوّل سورة نزلت مطلقة قلنا سورة الفاتحة، وهي بمعانيها مقدّمة لكلّ سورة، وهي بالنسبة لسورة النّصر مقدّمة ونتيجة.

بقيت آية واحدة وهي: ﴿...اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾المائدة:3 هذه الآية يظنّ بعض النّاس أنّها آخر آية نزلت، ومن المعروف أنّ هذه الآية نزلت في حجّة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، وعاش النبيّ بعد نزولها مدّة ثلاثة أشهر، ولم ينقطع الوحي في هذه الأشهر الثلاثة. فالمعنى المقصود أنّ الله أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيّه دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلائه عنه المشركين حتّى حجّه المسلمون دونهم، لا يخالطهم المشركون.

“……

جمع القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾الحجر:9 وقال تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(16)إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(17)﴾القيامة: 16-17

الجمع الأوّل: (في عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم)حفظ وكتابة: حُفِظ في الصّدور، وما أكثر العوامل التي ساعدت على حفظه. وكُتب مفرّقا على ما تيسّر؛ من عُسُبٍ ولِخاف وأكتاف جريد وأقتاب ورقاع وصُحف وألواح وظُرر وخزف وكرانيف. ولم يُجمع القرآن في مصحف واحد في عهد الرّسول صلّى اله عليه وسلّم؛ لأنّ القرآن كان ينزل، ولم يعرفوا متى يكتمل نزوله، وحتّى لا تُعاد الكتابة عند الترتيب النّهائي.

الجمع الثاني: (في عهد أبي بكر رضي الله عنه) عُمر رضي الله عنه يُشير على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بعد أن استحرّ القتل في الصّحابة، فبقي حتّى شرح الله صدره، ومن ثمّ دعوة زيد بن ثابت حتّى شرح الله صدره. فجمع القرآن في هذا العهد في مصحف واحد وبالأحرف السّبعة، وقد تولّى أمر الجمع زيد ومعه فريق من الحفظة من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومن هؤلاء سوى باقي الصّحابة ممن شارك: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وفي رواية أخرى معهم أبو الدّرداء، فكان الجمع بإحضار المكتوب وحصول الحفظ وشهود وعرض على من حضر من الحفظة وغير ذلك من طرق التثبّت. وهذه السنّة الحسنة لأبي بكر في الجمع ومن شاركه لهم أجرها وأجر من عمل وحافظ على كتاب الله ليوم القيامة. مع ما في قصّة الجمع من حرص على اتّباع سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعدم مخالفة أمره.

روى البخاريّ في صحيحه: (7191) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: " إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ "، قُلْتُ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لاَ نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ»، قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ [ص:75]، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ»، فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجَعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ، أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَالرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة: 128]. إِلَى آخِرِهَا مَعَ خُزَيْمَةَ، أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: " اللِّخَافُ: يَعْنِي الخَزَفَ " رواه البخاري.

الجمع الثالث: (جمع القرآن في خلافة عثمان رضي الله عنه) هذه الجمع كان خشية الاختلاف بعد أن فزع حذيفة بن اليمان، وكان على لغة قريش(على حرف واحد وليس بالأحرف السّبعة)، فباقي الأحرف أُحرقت أو مُحيت بأمر عثمان وإجماع الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فكانت نحوا من أربع نسخ أو أكثر وُزّعت على الأمصار وحواضر العالم الإسلامي آنذاك، مع مقرئ يُكلّف بتلاوتها كونها غير منقوطة أو مشكولة. وسُمّي المصحف هذا بمصحف الإمام، وبالرّسم الذي نعرفه الآن(الرّسم العثماني)، وقد ظلّ هذا الرّسم سنّة متّبعة حتّى يومنا هذا، والآيات والسّور مرتّبة على النحو الذي نقرأ فيها يومنا هذا في المراحل الثلاث.

روى البخاريّ في صحيحه: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ [ص:184] أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ" رواه البخاري حديث رقم: 4987

شُبهات: وأمّا الشبهات على الجمع فكثيرة، وكلّها واهية لا تقف أمام البحث العلمي، ولكنّ منشأها البعد عن الحق، واتّباع الهوى، فكانت من الماركسيين والغربيين وما يُسَمّون بالحداثيّين. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6)﴾الفرقان:4-6

فمن شبهاتهم أنّ القرآن لم يحفظه كاملا إلى أربعة من الصّحابة، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: افْتَخَرَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَقَالَتِ الْأَوْسُ: مِنَّا غَسِيلُ الْمَلَائِكَةِ: حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ، وَمِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدُّبُرُ: عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ: خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ. وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ: مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،. قُلْتُ: فِي الصَّحِيحِ مِنْهُ: الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فَقَطْ. رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُمْ رِجَالُ الصَّحِيحِ. كذا جاء في مجمع الزّوائد للهيثمي. ومن شبهاتهم أنّ الوحي كان ينزل وليس عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من يكتب، ومنها أنّ كُتّاب الوحي لم يكونوا موضع ثقة، ومنها أنّ الجمع كان لدواع شخصيّة، ومنها اختيار مجموعة معيّنة للجمع يدلّ على أرستقراطيّة ويُثبت الدّواعي الشخصيّة.

…..

ترتيب آي القرآن وسوره:

معنى الآية القرآنية: تأتي الآية القرآنيّة في اللغة على معانٍ، منها: العلامة، والمعجزة، والعبرة، والأمر العجيب، والدليل، والبناء المرتفع. وفي الاصطلاح: طائفة من القرآن ذات مبدأ ومنتهى مندرجة في سورة، يسمّى آخرها فاصلة. وطريقة معرفة الآيات التّوقيف ولا مجال للاجتهاد في ذلك. وترتيب الآيات توقيفي والمعتمد في ترتيب السّور كذلك. ويتّصل بذلك تعريف الفاصلة القرآنية، وهي أواخر كلمات الآي، كالقافية آخر كلمات البيت، وكالسّجعة في الكلام المسجوع، وقد أطلقوا على أواخر آي القرآن فواصل آخذا من قوله سبحانه: (كتاب فُصّلت آياته)فصلت:3، وابتعادا عن أن تُسمّى أسجاعا.

سور القرآن الكريم:

السورة فيا لاصطلاح: هي طائفة من القرآن له بداية ونهاية، واسم خاص بها يميزها عن غيرها بتوقيف من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

أسماء السّور وعددها:

الرّاجح أنّ أسماء السّور توقيفي، ولا بأس من الاجتهاد في الأسماء للدّلالة على موضوعات السّورة فقط، وليس لاعتمادها اسما، وأمّا العدد فمئة وأربع عشرة سورة.

أقسام سور القرآن:

قسّم العلماء سور القرآن إلى: الطّوال والمئون والمثاني والمفصّل، والمفصّل إلى طوال المفصّل وأوسطه وقصاره. فالطّوال هي: البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف والتّوبة. والمئون: ما يلي الطّوال مِمّا زاد عن المئة آية وهي: الأنفال ويونس وهود ويوسف والنحل والإسراء والكهف وطه والأنبياء والقصص والحج والأحزاب وغافر. والمفصّل هو ما دون المثاني واختلفوا في تحديد أوّله والمعتمد أنّ اوّله سورة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وطواله إلى سورة البروج، وأوسطه إلى سورة البيّنة، وقصاره البقيّة إلى سورة النّاس.

ترتيب الآيات والسّور:

الجمهور على أنّ ترتيب الآيات والسّور توقيفي من عند الله عزّ وجل، ولذلك تُطلب المناسبات بين الآيات والسّور.

رسم المصحف:

اختلف العلماء في هذه المسألة، فمنهم من قال بالتّوقيف وذكر حججه، ومنهم من قال بالاصطلاح، والذي نميل إليه أنّه اصطلاحي، ومع ذلك لا نرى كتابة المصحف بغير الرّسم المعهود لإلف النّاس ذلك، وما فيه من أسرار وفوائد يمكن دراستها.

من الجهات التي خالف فيها الرّسم العثماني الخط القياسي:

الحذف (ٱللَّٰعِنُونَ، مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ، فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ)

الزيادة(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

البدل(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ، رحمت، نعمت، سنت)

الفصل والوصل(ألّا، أن لا، عن ما، عمّا، أمّن، أم من، إنّما، إنّ ما)

فيما فيه قراءتان (مَلِكِ يوم الدّين، تُفَٰدُوهُمۡ، ، يُخَٰدِعُونَ)